الأثر العربي الشرقي
في القانون الرّوماني -اللاتيني -
المحامي أحمد غسان سبانو

اســـــم الكتـــــاب: الأثر العربي الشرقي في القانون الرّوماني -اللاتيني -
اســم المـــؤلـــــف: المحامي أحمد غسان سبانو
التـرقيم الـــــدولي:ISBN:9789776689329

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع والترجمة المشهرة برقم ٢٤٨٢١ بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: جمهورية مصر العربية/ محافظة الجيزة/ مدينة السادس من أكتوبر/ ٣٣ التمويل العقاري.

هاتف: ٠٠٢٠٢٣٨٨٥٠٦٤٩/ موبايل ٠٠٢٠١٥٥٣٢٤٧٤٨٦

البريد الإلكتروني: tahreradbe@gmail.com

الأثر العربي الشرقي
في القانون الرّوماني –اللاتيني –

المحامي أحمد غسان سبانو

على أرض الوطن العربي كان فجر الإنسانية، وأول حضارة عرفها العالم تلك الحضارة التي هي بحق أم الحضارة العالمية. إنها حضارة عربية سامية بدأت مع فجر الإنسانية واستمرت دون انقطاع حتى هذا العصر وستبقى مستمرة ما دام على هذا الكوكب نبضة حياة.

إن حضارتنا العربية العريقة تعود إلى آلاف السنين الغابرة إلا أن دراستنا لتاريخ حضارتنا ما زال في بدايته وقد سبقنا إلى هذه الدراسة علماء الغرب فألفوا ووضعوا النظريات والتفسيرات بما يرضي هواهم فقسموا حضارتنا، وقربوا بعضها وأبعدوا بعضها، هنا حضارات سامية، وهنا غير سامية، هنا حضارة تعود لأقوام هاجرت من الجزيرة العربية، وهنا أقوام لا نعرف أصلهم وفصلهم، وهدفهم في ذلك واضح ومعلوم.

من ذلك كانت نظرتنا للتراث متضاربة مختلفة، فبعضنا يعتبر تراثنا هو التراث العربي الإسلامي، وبعضهم يعيده للوراء قليلاً أو كثيراً، بعضهم يقول قد انقطعت صلتنا بالماضي، فنحن والقدماء على فراق. إلا أن الحقيقة والواقع أن حضارتنا واحدة ومنشأنا بالأصل واحد. عالمنا العربي وشعبنا واحد، وآباؤنا مهما قسموا أو بعدوا، هم سكان أرضنا العربية، وتراثهم تراثنا.

إلا أن أضاعتنا لتلك الفترات القديمة والمتوسطة القدم في تاريخنا باعد بين التراث مما أوجب علينا البحث والتقصي لنعيد الحق إلى نصابه ولنحفظ تراثنا المهدد بالضياع. ولتعرف جماهيرنا صفحات مشرقة من تاريخنا الذي ضمته متاحف ومعاهد التراث الأجنبية ومكتبات الغرب.

من هذه الصفحات ندرس الآن الأثر العربي الشرقي في أهم منجزات الرومان الحضارية ولعلها الوحيدة ألا وهي المنجزات القانونية الرومانية لنعرف حقيقة "رومنتها" وتأثير أجدادنا العرب فيها.

تسهل دراسة روما والشعب الروماني لوضوح التأسيس ووضوح التأثير الأجنبي، ووضوح التكوين.

فلقد نشأت مدينة روما من اتحاد قبائل من المهاجرين الهندو–أوربيين الذين تجمعوا بين نهر "التيبر" ونابولي وسموا باسم اللاتينيين وجاوروا قبائل السابيفيين والأومبريين وقد اتحدوا فيما بينهم وأنشأوا مدينة البالونكا عند سفح جبل "آلبان" وعلى بعد عشرين ميلاً منها للشمال الغربي أنشأوا مدينة لأغراض دفاعية في ٧٥٤/٤/٢١ ق.م على تل البالاتان واتسعت هذه المدينة فشملت سبعة تلال أشهرها "البالاتان" و"الكابيتول" و "الكيرينال" و "الآفانتان". هذه المدينة الدفاعية دعيت روما.

وكان لهذه المدينة الحظ الوافر فأصبحت هي المركز الرئيسي لشعب اللاتين. وقد تطورت المدينة لتصبح مملكة وبقيت كذلك حتى عام ٥٠٩ ق.م حيث قام النظام الجمهوري الذي بقي حتى عام ٢٧ قبل الميلاد حين اعتلى الحكم في روما "أوغوست" بعد أن أنهى حكومة القناصل. وقد مرت الحقوق الرومانية خلال تاريخها في أربعة عهود وهي:

١–عهد نشأة الحقوق ويبتدئ منذ بناء روما عام ٧٥٤ ق.م وحتى سقوط

الملكية عام ٥٠٩ ق.م وفي هذا الدور كانت الأعراف والعادات هي التي تحكم وتنظم أمور الناس وما لبثت تلك الأعراف والعادات أن شكلت قواعد قانونية بقيت بأيدي رجال الدين.

٢-عهد الحقوق الرومانية القديمة: منذ أوائل العهد الجمهوري حتى بدء العصر الإمبراطوري (٥٠٩ ق.م-١٥٠ ق.م).

وبهذا العهد توسع الرومان في فتوحاتهم وخالطوا الشعوب المجاورة من يونان وكريت وفينيقيين وكل هذه الشعوب كان للعرب والفينيقيين خصوصاً أثر كبير على حضاراتهم.

وبهذا الدور نشأت أقدم النصوص الحقوقية المكتوبة ومنها الألواح الاثنا عشرية عام ٤٤٩ ق.م وكانت الحقوق الرومانية تطبق على الرومانيين. وكان القانون المحلي هو الذي يحكم الشعوب المجاورة والتي أصبحت مع الأيام مستعمرات رومانية. ونتيجة اختلاط الحقوق الرومانية مع أنظمة الحقوق لدى الشعوب الأخرى جرى تطور كبير في الحقوق الرومانية جعلها تبتعد عن البدائية والشكلية وأصبحت أ كثر قدرة على استيعاب المسائل المستجدة والمتطورة للمظاهر الحضارية.

إلا أن السمة الظاهرة هي أن الرومان لم يقوموا بالنقل الحرفي للقانون الأجنبي. بل طوروا مؤسساتهم الحكومية بما يتماشى مع ظروفهم الحضارية.

٣-العهد العلمي من عام ١٥٠ ق.م وحتى عام ٣٠٣ ب.م في عهد الإمبراطور قسطنطين وهو أزهى العهود الحقوقية الرومانية وبه ظهر أعظم فقهاء الرومان "فقهاء العهد العلمي" وهم جميعاً من أصل فينيقي عربي وآثارهم هي التي سميت فيما بعد "مدونة جوستنيان" كما سنرى.

٤-عهد الإمبراطورية العظمى (٣٠٣-٥٦٥م) من عهد الإمبراطور قسطنطين إلى موت الإمبراطور جوستنيان ولم يكن للإبداع دور في هذا العهد بل كانت سمته النقل والتحشية على مؤلفات العهد العلمي، ولكن في هذا الدور اكتمل التجميع القانوني للمؤلفات والدساتير في مجموعات وصلت إلينا وتبناها نابليون وأخذتها أسرة الحقوق اللاتينية التي تعتمد حقوق نابليون كأساس في قوانينها.

فما هي هذه المجموعات؟

١-مجموعة القوانين والدساتير الإمبراطورية وهي تجميع لما صدر من قوانين ودساتير.

٢-الموسوعة وتشمل القانون القديم المتمثل في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون المدني.

٣-النظم: وهو مختصر للقانون المدني وهو بالأساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق.

ولتبيان الأثر الشرقي العربي على مدونة جستنيان التي أصبحت مجموعة نابليون، سندرس الأصول التي استقت منها مدونة جستنيان مصادرها. ثم ندرس طريقة تجميع هذه النصوص وأخيراً ندرس كيف انتقلت إلينا هذه النصوص.

١-المصادر التي أخذت عنها الحقوق الرومانية ومدونة جوستنيان.

وهي مصادر الحقوق عامة:

١-العرف والعادة وهو أساس القوانين وقد كان العرف والعادة بالأساس رومانيين بحتين إلا أنهما تطورا مع الفتوحات فأخذ عن اليونان وكريت وصقليا وبلاد العرب وذلك بتطور المحيط ونتيجة التجارة وتبادل العلماء والأسرى والعبيد والجيوش والسياح وسواهم.

٢-المراسيم والدساتير الإمبراطورية والمراسيم والدساتير الصادرة عن حكام الأقاليم وهناك أثر كبير للشرقيين العرب في هذه الدساتير حتى أن صياغة عدد منها صدر بفعل أباطرة عرب من أسرة الإمبراطور سبتيم سيفر (١٩٣-٢١١) م الحمصية وأولاده كركلا (٢١١-٢١٧) وغيتا (٢١١-٢١٢) م وآكابالس (٢١٨-٢٢٢) م وإسكندر سيفروس (٢٢٢-٢٣٥) م بعد ذلك جاء فيليب العربي. (٢٤٤-٢٤٩) من شهبا.

كذلك كان قسم من المراسيم قد صدر من تأثير رؤساء الديوان الإمبراطوري (أي ما يعادل رئيس الوزارة) أمثال بابنيان من حمص والبيان وبولس ومودستان

من الساحل السوري.

٣-الفتاوي وهي استنباط الأحكام من النصوص الأساسية وقد مرت الفتاوي بمراحل كالتالي:

آ-مرحلة إعطاء الفتاوي بشكل حر للجميع.

ب-حصر الإفتاء بأصحاب الامتياز المعطى من الإمبراطور.

جـ-حصر الإفتاء بمجلس استشاري برآسة الإمبراطور.

د-ظهور الفقهاء العلميين وظهور المدارس الفقهية.

٤-المؤلفات الحقوقية وقد وصلنا منها عدد محدود ويعود حصراً لفقهاء العصر العلمي السوريين وهم غايوس من الشمال السوري وبابنيان من حمص وبولس والبيان وتلميذه مودستان وهم جميعاً من الساحل السوري.

٥-دور المدارس القانونية (الجامعات) التي كانت تقوم بالتدريس بمدة أربع سنوات أضيف إليها فيما بعد سنة خامسة وأهم هذه الجامعات معهد روما ومعهد "أثينا" ومعهد القسطنطينية ثم معهد بيروت ومعهد الإسكندرية ومعهد القيصرية والثلاث الأخيرات عربيات المنشأ والإقليم.

٦-دور المحاكم وقرارات القضاء سواء ما يطبق منها الحقوق الرومانية أو ما يطبق القانون الأجنبي الأكثر تطوراً.

كيف وصلت إلينا مدونة جوستنيان؟

وهذا يقتضي البحث في تطور الحقوق الرومانية حتى أصبحت باسم مدونة جوستنيان أي كيف تشكلت مدونة جوستنيان؟

وبالتالي كيف أصبحت مدونة جوستنيان قانوناً فرنسياً؟

وأخيراً كيف دخل القانون الفرنسي إلى قوانين البلاد العربية وأصبح مطبقاً فيها؟

أولاً: أصول مدونة جوستنيان.

كان أول تجميع وتدوين للحقوق الرومانية في عام ٤٤٩ ق.م عندما ظهرت الألواح الاثنا عشرية. إلا أن التجميع والتدوين العلمي للقوانين والأنظمة والدساتير الرومانية إنما تم عام ٢٩١ م بالشكل التالي مع ذكر أهم المجموعات:

أ-المجموعة الأولى المجموعة الجريجورية الصادرة عام (٢٩١) م في عهد دقلديانوس وسميت جريجورية نسبة لجامعها وقد ضمت الدساتير من عهد هادريان إلى عهد دقلديانوس مرتبة حسب تاريخ صدورها.

ب-المجموعة الهرمونية نسبة لجامعها هرموجنيان وكملت سابقتها وصدرت بعد عدة سنوات منها.

جـ-المجموعة النيودوزية نسبة إلى الإمبراطور نيودوز الثاني وصدرت عام (٤٣٨) م شاملة للدساتير من عهد قسطنطين حتى تاريخ صدورها.

د-مجموعة جيستنان وتضم ثلاث مجموعات:

١-مجموعة القوانين ونظم الدساتير الإمبراطورية وصدرت نهائياً عام ٩٢٩م.

٢-الموسوعة: وتشمل القانون القديم متمثلاً بكتابات الفقهاء وصدرت عام ٥٣٣م.

٣-النظم: وهي مختصر القانون الروماني ووضعت بالأساس لغرض تدريسي.

وصدرت عام ٥٣٣.

ثانياً: من جستنيان إلى نابليون:

صدرت مدونة جستنيان في عهده وبقيت مطبقة حتى القرن الثامن الميلادي وفي عام ٧٤٠ وضع الإمبراطور ليون باللغة الإغريقية مختار القوانين. وفي القرن

التاسع قام الإمبراطور بازيل (٧٦٧-٨٧٩) م بوضع مجموعة سماها "الموجز في القوانين".

وفي نهاية القرن التاسع وضع الإمبراطور ليون السابع المجموعة "البازيليكية" التي طبقت حتى سقوط القسطنطينية بيد "فراك" عام ١٤٥٣م.

وكل المجموعات المذكورة أخذت نصاً وروحاً عن مدونة جوستنيان وذلك في الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بعد الانقسام إلى شرقية وغربية) أما في الإمبراطورية الغربية فقد طبقت مدونة جوستنيان على فترات وخلال مناطق مختلفة وصدرت عليها هناك عدة تعديلات.

في أواخر القرن الحادي عشر قامت في أوربا حركة تهدف إلى إحياء القانون الروماني وكان المركز الرئيسي لهذه الحركة مدينة بولونيا في إيطاليا وقد أسس هذه الحركة آرنويولس وافتتح مدرسة لتدريس مجموعات جستنيان التي كانت تسمي مجموعة القانون المدني وأخذ أرنويولس وبعض الفقهاء بشرح المدونة وتفسيرها ووضع الهوامش عليها وجمعت أعمالهم باسم "الحاشية الكبرى" التي أصدرها أكورسيوس (١١٨٢-١٢٢٠) م وعلى أعقاب هذه المدرسة ظهرت مدرسة المحشّين اللامعين وعلى رأسها الفقيه بارتول (١٣١٤-١٣٥٧).

وفي فرنسا وعلى يد الفقيه كيجاسن (١٥٢٢-١٥٩٠) بدأت الدراسة العلمية لمدونة جوستنيان.

وظهرت حركة مماثلة في ألمانيا تزعمها الفقيه ساقيني (١٧٧٩-١٨٦١) م وفي فرنسا كان هدف الحكومات الفرنسية توحيد القوانين المطبقة في فرنسا بمجموعات وقد عجزت الملكية عن تطبيق هذا الهدف كما وعجزت الجمهورية عن ذلك أيضاً إلا أن نابليون في عهد القنصلية أصدر المجموعة النابليونية في ١٨٠٤/٣/٢٧. وذلك نقلاً عن مدونة جستنيان. وقد فرضتها فرنسا على الدول التي استطاعت السيطرة عليها آنذاك وعرفت الحقوق الفرنسية باسم الحقوق اللاتينية القانون اللاتيني في الدول العربية.

تعتبر مصر أولى الدول العربية التي طبقت الحقوق الفرنسية وقد كانت مصر تطبق الشريعة الإسلامية التي تعتبر مصدر التشريع. وأخذت بعض القوانين الوضعية بالظهور اعتباراً من أول القرن التاسع عشر.

وظهر بالتالي القضاء المختلط والقوانين المختلفة التي أعدها أحد المحامين الفرنسيين المقيمين في مصر واسمه "مونوري" من هذه القوانين القانون المدني المختلط الذي كان في حينه يعتبر ورقة رابحة للتخلص من الامتيازات الأجنبية.

ثم ظهرت المحاكم الأهلية التي تطبق الشريعة الإسلامية وإضافة لها القوانين الوضعية. وتخلصاً من هذا الازدواج بين قانون مختلط وقانون أهلي وكذلك الأمر بالنسبة للمحاكم فقد شكلت لجنة أعدت مشروعاً أخذت ثلاثة أرباعه من القوانين المصرية المختلطة والأهلية التي أساسهما القانون الفرنسي. أما الربع الرابع فقد أخذ أحكامه من الشريعة الإسلامية السمحاء وطبق هذا المشروع كقانون عام ١٩٤٨.

وفي سورية طبق القانون المصري بنصه وحرفيته عدا تبديل اسم الدولة وبعض التبديلات البسيطة الأخرى وصدر في سوريا ١٩٤٩. كذلك طبق في لبنان والعراق وليبيا وغيرها من الدول العربية.

الأثر العربي الشرقي في الحقوق الرومانية:

ويتجلى هذا الأمر في مصادر الحقوق الرومانية وفي متنها وفي طريقة تجميع هذه الحقوق.

١-الأثر العربي الشرقي في مصادر الحقوق:

ففي العرف والعادة كان لاختلاط الرومان المباشر مع البلاد العربية وسوريا على الخصوص والمستعمرات الفينيقية القديمة أو الدول التي كان للفينيقيين والعرب عموماً تأثير مباشر عليها مثل اليونان وكريت وغيرها ونتيجة للحروب والأسرى والتجارة والسياحة وسواها كان التأثير العربي للعرف والعادة الرومانية.

أما في المراسيم فإنها أيضاً صادرة عن تأثير هذا الاختلاط المذكور. وكنا قد ذكرنا أن هناك خمس أباطرة سوريين ولا أقل عن أربعة رؤساء دواوين (رؤساء وزارات) عرب سوريين حكموا روما وأصدروا الكثير من المراسيم نذكر أسمائهم كما يلي:

الأباطرة: أسرة سيفير الحمصية وقد حكمت على الشكل التالي: سبتيم سيفر (١٩٣-٢١١) م كركلا (٢١١-٢١٧) وغيتا (٢١١-٢١٢) م وآكابالس (٢١٨-

٢٢٢) م وإسكندر سيفروس (٢٢٢-٢٣٥) م.

ثم جاء إمبراطور آخر من أسرة سورية عربية من مدينة شهبا هو الامبراطور فيليب العربي الذي حكم ما بين عامي (٢٤٤-٢٤٩) م.

أما رؤساء الدواوين والحكام البرينوريين (القضائيين فنذكر منهم: بابنيان /وبولس/ /وأولبيان/ وموديستان/.

كما وأن هناك الكثير من المراسيم التي صدرت تخص مفتين عرب نظمت الفتوى أو أعطت كتابات بعض المفتين أولوية في التطبيق نذكر من هذه المراسيم ما يلي:

١-دستور قسطنطين الصادرة عام ٣٢١م الذي أمر فيه بعدم الاعتداء بالحواشي التي وضعها الفقهاء أو لبيان وبولس على كتاب الفتاوي للفقيه بابنيان وكل من ذكر من أصلي عربي سوري.

٢-دستور قسطنطين الصادرة عام ٣٢٧م الذي يعطي لكتاب الأحكام للفقيه بولس قوة رسمية مطلقة.

٣-قانون الأسانيد الصادرة عن تيودور الثاني إمبراطور الشرق. وفالنينيان الثالث إمبراطور الغرب الصادرة عام ٤٢٦م الذي نظم بموجبه طريقة الاعتماد على الإفتاء. فقد أعطى هذا القانون لكتابات كل من غايوس وبابنيان وبولس

وأولبيان وموديستان وهم جميعاً من العرب السوريين قوة القانون. وقد نظم الاستدلال بآرائهم على الشكل التالي: إذا أجمع هؤلاء الفقهاء على رأي في مسألة معينة كان رأيهم ملزماً للقاضي. فإن لم يجمعوا ألزم القاضي بأخذ رأي الأكثرية وفي حال التساوي على القاضي الأخذ بالرأي الذي فيه الفقيه بابنيان. فإن لم يكن لبابنيان رأي كان للقاضي حرية اختيار ما يناسبه.

أثر العرب في الفتاوي:

وقد ذكرنا بعض هذه الآثار في البحث السابق ونضيف أن أهم كتب الفتاوي إنما صدرت عن الفقهاء الخمسة (فقهاء العصر العلمي) المذكورين وهم عرب سوريين. وسنرى أن مدونة جوستنان أن هي إلا نتف من فتاوي الفقهاء كانت في معظمها لمفتين عرب سوريين.

أثر العرب في المدارس الحقوقية:

المدارس الحقوقية التي كانت معروفة في ذاك العهد هي ست مدارس: روما والقسطنطينية وأثينا والقيصرية وبيروت والإسكندرية. ونرى أن المدارس الثلاث الأخيرات مدارس شرقية علماً بأن أهم هذه المدارس وأكثرها أثراً على الحقوق الرومانية هي مدرسة بيروت وسنتحدث عنها فيما بعد.

المحاكم وقرارات القضاء:

ليس من السهل تتبع أثر العرب في هذا المصدر من مصادر الحقوق لتشعب الموضوع وكثرته وضياع الوثائق والمؤيدات التي تظهر هذا الأثر إلا أن

ما قلناه عن أثر الشرق في العرف والعادة في الحقوق الرومانية ينطبق هنا أيضاً.

وثمة تأثير آخر مهم لابد من ذكره ألا وهو أثر المؤلفات الحقوقية في الحقوق الرومانية. ولدينا قائمة بمؤلفات كثيرة لحقوقيين عرب ورومان. إلا أننا لا نعرف ولم يصلنا إلا مؤلفات محدودة هي بكليتها لفقهاء الدور العلمي المذكورين. وقد ذكر أن غايوس قد ألف كتاب النظم الذي وصلنا كاملاً وإن بابنيان ألف: (١٩) مؤلفاً في المناقشات القانونية و (٣٧) مؤلفاً في المسائل القانونية وله كتاب "الأسئلة" وكتاب "الأجوبة" وله أيضاً كتاب "الفتاوي".

أما أولبيان فأهم كتبه كتابه المشهور "كتاب القواعد" وكتاب "الاستشهادات".

وبولص ألف الكثير من المؤلفات الفقهية وخصوصاً تعليقاته على كتاب بابنيان وله كتاب "التقريرات المأثورة".

ومودستان له مؤلفات في الحقوق كتبها باللغة اليونانية.

وأن أ هم الكتب التي وصلتنا هي كما يلي:

١-كتاب القواعد للفقيه أولبيان وقد وصل إلينا بصورة مختصرة كما جاء وصفه له على لسان أحد كتَّاب القرن الرابع الميلادي ووصل إلينا أيضاً عن طريق مخطوط دوّن في نهاية القرن العاشر الميلادي.

٢-كتاب النظم للفقيه كايوس السوري وقد وصل إلينا كاملاً مما يعد أصدق وأبرز مصدر علمي عن الحقوق الرومانية وقد عثر عليه بإحدى كنائس فيرونا بإيطاليا عام ١٨١٦م. وقد تبين أن الكتاب قد قشط وأزيل عن ورقاته وكتب فوق الأوراق كتاب آخر يتضمن نصوصاً دينية. إلا أنه تم إعادة النص الأساسي بعد معالجته بطرق كيميائية خاصة، إلا أن هناك بعض الصفحات الناقصة التي عوضت بما عثر من أوراق بردي بمصر تتضمن الصفحات الناقصة.

ويعتبر هذا الكتاب أقدم كتاب عن الحقوق الرومانية وصل إلينا والتي كسفت بنورها شمس جميع ما تقدمها ولعل ذلك سر فقدان آثار من تقدمه من الفقهاء.

وقد جاء ترتيب هذا الكتاب كما ترتب كتب الفقه والقانون عندنا حالياً فيبدأ بالقواعد المتعلقة بالأشخاص ثم الأشياء فالأموال والدعاوي وقد أخذ عنه جوستنيان الترتيب ومعظم الأحكام في الكتاب الذي صدر عام ٥٣٣ بنفس الاسم ضمن مدونة جوستنيان.

٣-كتاب الأحكام "سانتانس" للفقيه بول ولم يصل بصورته الأصلية بل بصورة مختصرة له عن طريق المجموعة القانونية التي وضعها الملك الأريك الثاني ملك القوط الغربي عام ٥٠٦م.

٤-الكتاب السوري الروماني: وهو من أكثر الكتب إثارة للجدل... كما سنرى وقد صدر هذا الكتاب باللغة اليونانية ثم ترجم في القرن الخامس الميلادي إلى السريانية ثم ترجم إلى العربية في القرن الثامن الهجري وكان يتضمن بعض القواعد

القانونية التي كانت مطبقة في سوريا في العهد الروماني، إضافة إلى القوانين الرومانية.

الأثر العربي والسوري في متن مدونة جوستنيان:

قلنا إن مدونة جستنيان تشتمل على ثلاث مجموعات الأولى: مجموعة القوانين والدساتير الإمبراطورية وهي تشبه الجريدة الرسمية عندنا حالياً. والثانية الموسوعة وتشتمل القانون القديم وتتمثل في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون المدني. وأخيراً النظم وهو مختصر القانون المدني وهو بالأساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق.

أ-الأثر العربي في مجموعة القوانين والدساتير بالطبع وقد ذكرنا أن العرب شاركوا في القوانين والدساتير الرومانية سواء من ناحية إصدارها بصفتهم قد حكموا روما كأباطرة (أسرة سبتيم سيفر) وفيليب العربي "لمدة أكثر من خمسين سنة. أو من ناحية أخرى في مشاركة العرب بالحكم كرؤساء دواوين (وزارات) وكحكام بريتوريين أو كأعضاء في مجالس الأحكام وذكرنا عدداً من الدساتير التي تخص العرب.

ب-أما أثر العرب في الموسوعة التي تحتوي على القانون القديم المتمثل في كتابات الفقهاء والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم القانون المدني والتي أخذ عنها نابليون وبالتالي القوانين المدنية الحالية لكثير من الدول الأجنبية والعربية.

فقد صدرت استناداً لأقوال ٣٨ فقيهاً و ذلك على شكل فقرات (مواد) فكان

مجموع فقرات المواد ٩١٢٤ فقرة وقد ذكر فيها أسماء للفقهاء بعدد (٣٦٦٥) مرة. فكان حصة فقهاء العصر العلمي الخمسة العرب السوريين على الشكل التالي:

١-غايوس أخذ منه ٥٣٦ فقرة وذكر فيها ٤ مرات.

٢بابنيان أخذ منه ٥٩٦ فقرة وذكر فيها ١٥٣ مرة.

٣-أولبيان أخذ منه ٢٤٦١ فقرة وذكر فيها ٢٠ مرة.

٤-بولس أخذ منه ٢٠٨٧ فقرة وذكر فيها ٤٥ مرة.

٥-مودستين أخذ منه ٣٤٥ فقرة وذكر فيها ٢ مرة.

المجموع ٦٠٢٥ ٢٢٤ مرة

من أصل ٩١٢٤ ٣٦٦٥.

يضاف إلى ذلك ما أخذ عن تلاميذ هؤلاء الفقهاء أو عمن اشتهر من مدرسة بيروت العربية.

ويبلغ عدد الفقرات التي أخذ منهم ١٣٢٩ فقرة فيكون المجموع (٧٣٥٤)

فقرة.

وأهم الفقهاء المذكورين:

١-سكتيوس بمبونيوس وأخذ منه ٥٥٨ قطعة.

٢-كنتوس سرفيديوس شيفولا وأخذ منه ٣٠٧ قطعة.

٣-كالمسترات وأخذ منه ١٠١ قطعة.

٤-أريوس ميندر وأخذ منه ٦ قطع.

٥-اليوس مرسيانوس وأخذ منه ٢٨٢ قطعة.

٦-كالوديوس تريفونينوس وأخذ منه ٢١ قطعة.

٧-ليسينوس روفينوس وأخذ منه ١٧ قطعة.

٨-فلور نتينوس وأخذ منه ٤٢ قطعة.

مع ملاحظة أن الأسماء والفقرات مأخوذة عن بلمندو "مدونة جوستنيان"

ترجمة المرحوم عبد العزيز فهمي "الملاحق".

جـ–النظم أو المختصر وتتألف من أربعة كتب الأول مؤلف من ٢٦ باباً والثاني ٢٥ باباً والثالث ١٧ باباً والرابع ١٨ باباً وكل باب مقسم إلى بنود. وقد أخذت عن مؤلفات فقهاء العصر العلمي العربي. فكانت في معظم نصوصها منقولة عن كتاب النظم لكايوس وقد أخذت نفس خطة الكتابة من حيث التنظيم والتبويب.

ولقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية عن نص بلوندو من قبل المرحوم عبد العزيز فهمي ونشر عام ١٩٤٦ باسم مدونة جستنيان.

الأثر العربي والشرقي في تجميع المدونة وتسجيلها:

آ–في مجموعة القوانين:

صدر الأمر من الامبراطور جوستنيان بتاريخ ٥٢٨/٢/٣ بتشكيل لجنة برئاسة تريبونيان (وزير العدل) وهو خريج معهد بيروت وعضوية نيوفيل أستاذ مدرسة القسطنطينية ومن أ ستاذ معهد بيروت ليوليد ستوس، وقد صدرت في ٥٢٩/٤/٧.

ونظراً لوجود تضارب في ضمنها شكلت لجنة برئاسة وزير العدل تريبونيان والأستاذ دورنية أستاذ معهد بيروت وثلاثة من المحامين.

ب–في الموسوعة:

وقد جمعت بعد تشكيل لجنة صدرت بدستور في عام ٥٣٠ واللجنة مؤلفة من وزير العدل المذكور وعضوية أستاذين من معهد بيروت وهما دورنيه وأناتوليوس وأستاذين من مدرسة القسطنطينية هما نوفبر وكرانيتو وأحد عشر محامياً وأحد كبار موظفي الدولة الذي كان أستاذاً سابقاً لمدرسة بيروت وقد أتمت اللجنة عملها في عام ٥٣٣ وأرجعته إلى ٨٣ مؤلفاً فقهياً.

النظم: المختصر للقانون الروماني:

وقد قام بوضعه لجنة ثلاثية مكونة من وزير العدل والأستاذ دورنيه أستاذ مدرسة بيروت والأستاذ نيوفيل أستاذ القسطنطينية وصدرت في عام ٥٣٣.

ومن الفقهاء الذين عملوا في هذه اللجان كان من "استيفانوس" و "تلليليوس" و"تيودور درموبوليس" و "سيريل".

وقد لاحظنا الاشتراك الفعلي لأساتذة مدرسة بيروت للحقوق أو طلابها اشتراكاً فعلياً في جمع وتدوين مدونة جوستنيان. وهؤلاء إما أن يكونوا عرباً سوريين أو زائرين بيروت للدراسة فيها إلا أنه لا يعرف بالضبط جنسيتهم.

وختاماً للبحث نوجز نبذة عن حياة فقهاء العصر العلمي ولمحة عن مدرسة بيروت.

فقهاء العصر العلمي للعرب:

وقد وصف بلوندو الفقهاء العرب الخمسة غايوس بابنيان وأولبيان وبولس ومودستان فقال: "إن هؤلاء الأربعة وقبلهم قد تركوا آثاراً حقوقية تكاد تكون المرجع الوحيد للحقوق الرومانية. وهي التي وصلت إلينا تقريباً دون غيرها". ويضيف واصفاً حالة الفقه القانوني بعد زمانهم:

"فقد أعقبه ظلام حالك حدث فجأة وبدون أية فترة انتقال تتوسط الحالتين. فكان بابنيان وبولس وأولبيان ومودستان إذ قضوا جروا معهم إلى القبر سر علم الكلام ذلك العلم العجيب الذي يقول عنه الفيلسوف ليبنتز أنه تكاد الدقة فيه لا تقل عن دقة المهندسين".

وبعد انتهاء عصر هؤلاء الفقهاء اضمحل دور الفقه في القانون فكان الفقه بعدهم يقتصر بعمله على النقل والتحشية على مؤلفاتهم فقط.

فمن هم هؤلاء الفقهاء؟:

١-غايوس:

وهو أقدم الفقهاء الخمسة وقد جاء ذكره في دستور فالنتيان (قانون الأساتيد) الذي أشرنا إليه. وقد لمع نجم غايوس في فترة حكم الإمبراطور مارك أوريل (١٥١-١٨١) م. ومعلوماتنا عن حياته قليلة ولكن لا يمكن تحديد أصله بشكل دقيق جداً.

وتعرف مؤلفاته بشكل جيد فله مدونته الخاصة التي تسمى (المختصر) وقد كانت رائجة لدى كافة طلاب الحقوق حتى وصلت إلى جستنيان فكانت أساساً للجزء المسمى (النظم) وقد أمر جستنيان باعتبار هذا الجزء كتاباً رسمياً لتعليم الحقوق والفقه للشبان.

وذكرنا كيف وصلنا كتاب غايوس هذا في الكتاب الذي قشط منه تأليف غايوس ودوّن بدلاً عنه أدعية كنسية ولكن أمكن إعادة النص الأصلي بالطرق الكيميائية.

٢ -أميل بابنيانس أو أميليوس بابنيانس:

ولد أميل بابنياس في مدينة حمص عام ١٤٢م وقتل عام ٢١٢م وقد درس الحقوق في بيروت ثم أصبح أستاذاً في معهد بيروت للحقوق. ويعتبر بابنيان أشهر الفقهاء في العالم وفي كل العصور. وقد استدعي إلى روما عام ١٩٨م من قريبته "جوليادومنة"، زوجة الإمبراطور الحمصية "سبتيم سيفر" فكان حاكماً قضائياً ثم رئيس مجلس الأحكام ورئيساً للديوان (للوزراء) ثم قائداً للحرس الإمبراطوري ونائباً للإمبراطور أثناء غيابه وكانت له رسالته في الدفاع عن الحق وعن العبيد لأنهم أحرار برأيه بالفطرة واشتهر بالدفاع عن النساء لأن لهن من الحقوق برأيه ما للرجال.

وقد قتل بابنيان بأمر من الإمبراطور كركلا (ابن سبتيم سيفر الذي قتل شقيقه الإمبراطور غيتا عام ٢١٢م) بفأس لأن بابنيان رفض كتابة دفاع وتبرير لكركلا تبيح للأخير قتل أخيه دفاعاً عن النفس وكان جوابه المشهور الذي سبب

قتله "إن ارتكاب جريمة قتل الوالدين أيسر من تبريرها" ويعني تبرير قتل كركلا لأخيه وقال "إن تبرير قتل النفس ليس أسهل من اقتراف القتل".

وقد وصف كركلا بأنه (قاتل أخيه وبابنيان) لشهرة "بابنيان" وعقب مقتل غيتا قام كركلا بقتل كل من له علاقة بأخيه فقتل ما يزيد عن عشرين ألفاً من ذكور وإناث وقال المؤرخ جيبون في هذا الخصوص "ذرف الأصدقاء والأسرات الدموع خفية على إعدام هؤلاء المواطنين ولكن إعدام بابنيان كان محزناً بوصفه كارثة عامة".

وقد ألف بابنيان "١٩" مؤلفاً في المناقشات القانونية و "٣٧" مؤلفاً في المسائل القانونية. وله كتابان مشهوران جداً هما "الأسئلة" و "الأجوبة" وقد كان كتابه "الأجوبة" مقرراً في برامج السنة الثالثة في مدارس الحقوق الرومانية.

كذلك له كتاب آخر لا يقل شهرة عن سابقيه وهو كتاب "الفتاوى".

ويقول بلوندو عنه "أن التراث العظيم الذي تركه لم يتركه أي روماني فقيه آخر". وقد أدخل لا أقل من ٥٩٦ فقرة من كتاباته في موجز جستنيان وذكر فيه ١٥٣ مرة. وقد لقبه الرومان بأمير الفقهاء وإكراماً له أقيم تمثاله في مدخل قصر العدل الحالي بروما.

٣-يوليوس بولس:

محام وفقيه عربي سوري من الساحل السوري وكان أستاذاً في مدرسة بيروت

للحقوق وزميلاً وصديقاً لبابنيان وقد استدعاه الأخير إلى روما في عهد الإمبراطور سبتيم سيفر وكان عضواً في مجلس الأحكام (من العدول أي الأعضاء) في عهد رئاسة بابنيان للمجلس وقد استلم عدة مناسب في روما. ووصل إلى منصب رئاسة مجلس الأحكام.

ترك كثيراً من المؤلفات وخصوصاً تعليقاته وشروحه على مؤلفات بابنيان. وقد رأينا أنه صدر دستور بعدم الاعتداد بحواشيه المدونة على كتابات بابنيان. كذلك ألف كثيراً من كتب التقريرات والقواعد باسم "التقريرات المأثورة" وقد وصلت إلينا هذه التقريرات. وهو من المؤلفين الخمسة الذين ورد ذكرهم في قانون الأساتيد المذكور.

٤-دومتيوس أولبيان:

وهو من أبناء صور في الساحل السوري وكان أستاذاً في معهد بيروت للحقوق واستدعاه بابنيان ليكون مساعداً له في روما واستلم منصب عضو في مجلس الأحكام ثم رئيساً له واستلم منصب عضو في مجلس الأحكام ثم رئيساً له وبعد مقتل بابنيان استلم حاكماً قضائياً ورئيساً للديوان (رئيس وزارة) وقد جرده الإمبراطور السوري "آكابالس" خليفة "كركلا" من مهامه لكن الإمبراطور إسكندر سيفروس أعاده مستشاراً.

وقد أدخل إصلاحات كثيرة على القضاء ولكنها أثارت عليه نقمة بعض الجهات وكذلك قام بإصلاحات في الجيش مما أثار عليه الجنود فدخلوا القصر الإمبراطوري ليلاً وقتلوه أمام الإمبراطور إسكندر سيفروس ووالدته رغم حماية

الإمبراطور له.

ويؤخذ عليه اضطهاده للمسيحيين في عهده واتهم بقتل فلافيانوس وكرستوس رئيس مجلس الأحكام.

وهو أكثر فقيه أخذ منه في كتاب الديجست (المختار أو الموجز) من مدونة جوستنيان إذ أخذ منه ٢٤٦١ قطعة وذكر فيها ٢٠ مرة.

وقد كرمه الرومان بأن أطلقوا اسمه على بازيليك وقصر عدل روما التي بنيت في عهد تراجان وبناها أبولودر الدمشقي.

كذلك كرمه الإيطاليون بأن وضعوا تمثاله على مدخل قصر العدل الحالي في روما جانب تمثال بابنيان.

٥-هيرنيوس مودستنيوس: "أو "مودستان":

وهو من أصدقاء وطلاب أولبيان ومن مدينة صور على الساحل السوري وقد درس الحقوق في بيروت وأصبح أستاذاً فيها واستدعاه أولبيان إلى روما ليقوم بمساعدته في أعبائه هناك وذلك في عهد الامبراطور إسكندر سيفيروس.

له عدة مؤلفات كتب بعضها في اليونانية وقد ذكر في المدونة مرتين ومن آثاره أخذت ٣٤٥ قطعة.

معهد بيروت للحقوق:

برزت مدرسة بيروت للحقوق كأشهر مدرسة للحقوق الرومانية وأطول المدارس عمراً رغم أنها لم تكن الوحيدة كما رأينا ويبدو أن سبتموس سيفروس الإمبراطور الروماني من أصل سوري (١٩٣-٢١١) م بدليل أنهم قد خلَّدوا ذكره في بيروت بمعبد أنشئ له ووضع داخل المعبد تمثال للإمبراطور. وقد شجع المدرسة خلفاء سبتموس السوريين وكانت اتجاهات المدرسة تصطبغ بالصبغة اليونانية أكثر منها رومانية عكس مدينة بيروت التي كانت رومانية أكثر منها يونانية.

لقد اجتذبت مدرسة بيروت الطلاب سواء العرب أو الأجانب وذلك من مختلف مناطق الإمبراطورية. ومن خريجي المدرسة كثير من الأباطرة ورؤساء الحرس الإمبراطوري والحكام القضائيين ورؤساء الديوان (الوزارة) وكثير من الوزراء والعظام.

وكان لأساتذة المدرسة شهرة فائقة وتأثير كبير في مؤلفاتهم على الحقوق الرومانية كما رأينا وهذا السبب هو الذي جعل من مدرسة بيروت للحقوق أكاديمية جامعية ذات شهرة عالمية.

وقد أطلق عليها الإمبراطور جستنيان جامع المدونة (الأم المرضعة للحقوق الرومانية).

كانت الدراسة في المدرسة لمدة أربع سنوات زادها الإمبراطور جستنيان إلى

خمس سنوات لدراسة المزيد من الدساتير الرومانية.

وكان طلاب المدرسة معفيين من الخدمة العسكرية على ما يبدو من نص دستور صدر استناداً لطلب فتوى رسمي صادر عن أحد طلبة مدرسة بيروت للحقوق. وكان الجواب أن الطلاب معفون من الخدمة العسكرية أو أي خدمة عامة إلزامية قبل تخرجهم أو بلوغهم سن الـ ٢٥.

ولدينا نصوص كثيرة حول حياة الطلاب في هذه المدرسة. وقد كانت الدروس في النهار، عدا ساعات الليل المخصصة لدراسة الطلاب وكانت المدرسة تعطل بعد ظهر يوم السبت وطوال يوم الأحد من كل أسبوع.

ويبدو أن الطلاب كانوا يشكلون جمعيات في المدرسة. كما وأن هناك الكثير من الحوادث الطريفة التي وقعت في المدرسة والتي ذكرتها النصوص التاريخية وكثيرين من طلاب المدرسة كانت لهم شهرتهم وقد ورد ذكر بعضهم في هذا البحث، وذلك على مختلف مراحل تاريخ المدرسة.

وقد قضى زلزال حدث في ٥٥١/٦/١م على المدرسة وهدمها فوق طلابها وأساتذتها كما هدم مدينة بيروت وكانت ضحية الزلزال ثلاثين ألف شخص من سكان بيروت ومنهم عدد كبير من ا لطلاب الأجانب أبناء الأسر النبيلة.

إلا أن تهدم المدرسة لم يوقف نشاط المدرسة فنقلت الدراسة إلى مدينة صيدا ريثما يتم بناء الجامعة من جديد ولكن حدثت كارثة قبيل تدشين أبنية الجامعة

الجديدة في عام ٥٦٠م إذ التهمت النيران البناء بأكمله. وبعد هذا لم نعد نسمع أي خبر عن مدرسة أو معهد بيروت للحقوق.

بعد هذا الاستعراض للأثر الشرقي والعربي على الحقوق الرومانية نجد من يثير قضية مخالفة تماماً هي أثر الحقوق الرومانية على الشريعة الإسلامية مدعياً بأن الشريعة الإسلامية قد أخذت عن الحقوق الرومانية.

وقد أشيع هذا الموضوع بحثاً اعتباراً من القرن التاسع عشر وبالتحديد بعد اكتشاف الكتاب السوري الروماني عام ١٨٦٢ على يد الأستاذ لاند. وقد أيد أولاً المستشرقون نظرية أخذ الشريعة الإسلامية كثيراً من أحكامها عن الحقوق الرومانية ولكن تراجع الكثير من المستشرقين عن هذا الرأي نتيجة تدقيق الأبحاث ودراسة نظريات المشرعين العرب والفقهاء وأصحاب الاجتهاد ومقارنتها بالقانون الروماني وكذلك سائر الفقهاء وأصحاب المذاهب الإسلامية فيهم الا وزاعي الذي سكن قرب بيروت وكذلك انقضاء أثر مدرسة بيروت للحقوق قبل ظهور الإسلام.

وبالعكس فقد اتجهت الأنظار إلى الأثر الشرقي والعربي على الحقوق الرومانية وكان من أهم الباحثين في هذا الموضوع كولينه.

ومما يذكر عن عظمة تأثير الشرق والعرب على الرومان أن قال جوفيات الروماني في نقد ساخر "أن العاصي –السوري–أخذ يصب في التيبر–الروماني".

وبالختام فقد لاحظنا تأثير حضارتنا العربية على المصادر التي أخذت منها الحقوق الرومانية وكيف كان لنا دور كبير في تطوير وتوسيع الحقوق الرومانية في مختلف مراحلها ومختلف مصادرها كذلك رأينا مدى إسهامنا في متن الحقوق الرومانية التي وصلتنا وأخيراً رأينا دور العرب والسوريين خاصة في تجميع هذه الحقوق حتى صدرت أخيراً مدونة جستنيان.

والآن. أليس من حقنا أن نقول إن الحقوق الرومانية التي جاءت في مدونة جستنيان هي من تأثيرنا ووضعنا؟

وبالتالي فإن قانوننا السوري أو المصري أو العراقي وكل من أخذ عن القانون الفرنسي إنما جاء من صنعنا وما هي إلا دورة التشريع قد أعادته إلينا؟

فالقانون المصري الذي هو أساس القوانين الغراء وثلاثة أرباعه من مدونة جستنيان التي كان لنا الأثر الأكبر في صنعها كما رأينا إذ كانت الفقرات التي من وضع عربي أو من وضع طلاب عرب أو طلاب أساتذة عرب قد بلغت ٧٣٥٤ فقرة من أصل ٩١٢٤.

المحتويات

كيف وصلت إلينا مدونة جوستنيان؟ ١١

أولاً: أصول مدونة جوستنيان. ١١

ثانياً: من جستنيان إلى نابليون: ١٢

الأثر العربي الشرقي في الحقوق الرومانية: ١٥

أثر العرب في الفتاوي: ١٧

أثر العرب في المدارس الحقوقية: ١٧

المحاكم وقرارات القضاء: ١٧

الأثر العربي والسوري في متن مدونة جوستنيان: ٢٠

الأثر العربي والشرقي في تجميع المدونة وتسجيلها: ٢٣

النظم: المختصر للقانون الروماني: ٢٤

فقهاء العصر العلمي للعرب: ٢٥

١-غايوس: ٢٥

٢-أميل بابنيانس أو أميليوس بابنيانس: ٢٦

٣-يوليوس بولس: ٢٧

٤-دومتيوس أولبيان: ٢٨

٥-هيرنيوس مودستنيوس: "أو "مودستان": ٢٩

معهد بيروت للحقوق: ٣٠